الدعوة إلى الله

(١)

الوسيلة الشرعية[(١)]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ملكه ولا ولي له من الذل، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

أما بعد: فهذه رسالة في بيان الوسيلة الشرعية دعاني لكتابتها ما رأيت من خلط العوام وغالب المنتسبين للعلم الوسيلة الشرعية بالوسيلة الشركية، وعدم معرفتهم بالوسائل المشروعة والوسائل الممنوعة، وتحريفهم آيات الله عن مواضعها بالتأويل الذي لم يقل به أحد ممن يعتد بقوله، ولا ينطبق على اللغة التي نزل بها الكتاب المبين؛ اتباعًا لأهوائهم وموافقة لآبائهم، فأقول وبالله التوفيق:

معنى الوسيلة في اللغة:

اعلم رحمك الله أن معنى الوسيلة في اللغة ما يتقرب به إلى الغير، يقال: وسل يسل وسيلة؛ رغب وتقرب فهو واسل، قال لبيد[(٢)]: «بل كل ذي دين إلى الله واسل». ووسل بالتشديد إلى الله بوسيلة وتوسل؛ عمل عملًا تقرب

---

(١) مجلة الإصلاح – العدد الخامس عشر – ١/ ١٠/ ١٣٤٧هـ.

(٢) انظر الكشاف عن حقائق التنزيل للزمخشري ١/ ٦٦٢. وانظر ديوان لبيد ص ٢٨.

به إلى الله. وقال الراغب[1]: وسل الوسيلة التوصل إلى الشيء برغبة وهي أخص من الوسيلة؛ لتضمنها لمعنى الرغبة قال تعالى: ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥].

وحقيقة الوسيلة إلى الله تعالى مراعاة سبيله بالعلم والعبادة، وتحرى مكارم الشريعة، وهي كالقرب، والواسل؛ الراغب. وقال الزمخشري[2]: الوسيلة؛ كل ما يتوسل به، أي يتقرب من قرابة أو صنيعة أو غير ذلك، فاستعيرت لما يتوسل به إلى الله تعالى من فعل الطاعات وترك المعاصي. اهـ. من تفسيره.

فإذا عرفت أن الوسيلة هي كل ما يتقرب به إلى الغير، وأن هذا التعريف عام يدخل فيه كل ما يتوسل به الناس إلى ملوكهم، وقضاء أوطارهم من الدنيا كالدراهم والدنانير، فإنها وسيلة إلى قضاء الحاجات، قلت لك: إن الشارع قد خصص هذا العام بما شرعه على لسان الرسول ﷺ من أنواع القرب التي فصلها بالقول والعمل، كإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ونحو ذلك من الفروض والسنن التي تقرب المرء من الله تعالى بأدائها على الوجه الأكمل.

«فالوسيلة» إذن؛ وسيلة شرعية تقرب إلى الله، وهي لا تكون بالهوى وقياسات العقول ولا بالرأي، بل لابد أن تكون بنصوص من الكتاب والسنة وإجماع من يعتد بإجماعهم كالصحابة والتابعين وأئمة العلماء المجتهدين رضي الله عنهم أجمعين.

ووسيلة دنيوية؛ كالتجارة والزراعة والصناعة وما شاكل ذلك، وهذه كل إنسان حر فيما يختاره منها لمعاشه ما لم يضر بدينه، ولكل أمر من أمور

---

(١) مفردات الراغب ص ٥٢٣.

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل ١/ ٦٦٢.

الدنيا وسيلة إذا اتخذت إليه وسيلته حصل وإلا لم يحصل.

مثال ذلك: الكسوة والسكني، فإن الوسيلة إليهما النقود، وهذه النقود إن لم تكن مختومة بخاتم الحكومة ومطبوعة بطابعها لم تعتبر ولم تكن وسيلة يقضى بها شيء ما. فليت شعري كيف يعتبر وسيلة شرعية ما ليس له نص من الكتاب أو السنة.

«فالوسائل الشرعية» التي تقرب إلى الله لابد أن تكون بتوقيف وتعليم من المعصوم ﷺ؛ وإلا كانت وسائل إلى النار. قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ القصص: ٥٠] فقسم الأمر إلى قسمين لا ثالث لهما: إما إن يكون مما أتى به النبي ﷺ فيجب التسليم له، وإما لا فهو ضلال، ومتبعه ضال ومتبع هواه، وليس أضل منه.

هذه الجملة ينبغي أن تفهمها لتنفعك في مواضع كثيرة وتحل بها كل مشكل وكل خلاف.

فعلى العبد الذي يحب النجاة من النار والفوز بالجنة أن يتبع المشروع من الوسائل ويعمل بها ولا يتعداها وإلا فقد ضل ضلالًا بعيدًا.

* * *

الدعوة إلى الله[١]

(٢)

بيان الوسيلة الشرعية والشركية في القرآن

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [المائدة: ٣٥] هذه آية قرآنية من سورة المائدة أمر الله فيها باتخاذ الوسيلة إليه، فهل يظن عاقل أن يترك النبي ﷺ بيان هذه الوسيلة؛ كيفية وكمية؛ قولًا وعملًا وهو المنزل عليه ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ ﴾ [النحل: ٤٤]؟ اللهم لا.

ولا جواب على هذا إلا أن نقول: قد بين النبي ﷺ أنواع الوسائل المشروعة كلها بدليل قوله ﷺ: «**ما تركت شيئًا يقربكم من الله إلا أمرتكم به، ولا شيئًا يبعدكم عن الله إلا ونهيتكم عنه**»[٢]. أو كما قال.

وقال الله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ﴾ [المائدة: ٣] إذن فما هي الوسيلة المشروعة التي بينها الرسول ﷺ ولا يقبل الله سواها؟

الوسيلة المشروعة التي أمر الله بها في الآية الكريمة وبين النبي ﷺ إجمالها هي الإيمان والتقوى والعمل الصالح، فإن قلت: هذا مجمل أيضًا. قلت لك: نعم، وتفصيله أن العمل الصالح لا يكون صالحًا إلا إذا كان موزونًا بميزان الكتاب والسنة.

---

(١) مجلة الإصلاح – العدد السادس عشر – ١/ ١/ ١٣٤٨هـ.

(٢) أخرجه الشافعي في مسنده ١/ ٢٣٣ من حديث المطلب بن حنطب رضي الله عنه، وأخرجه البغوي في شرح السنة (٤١١١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.